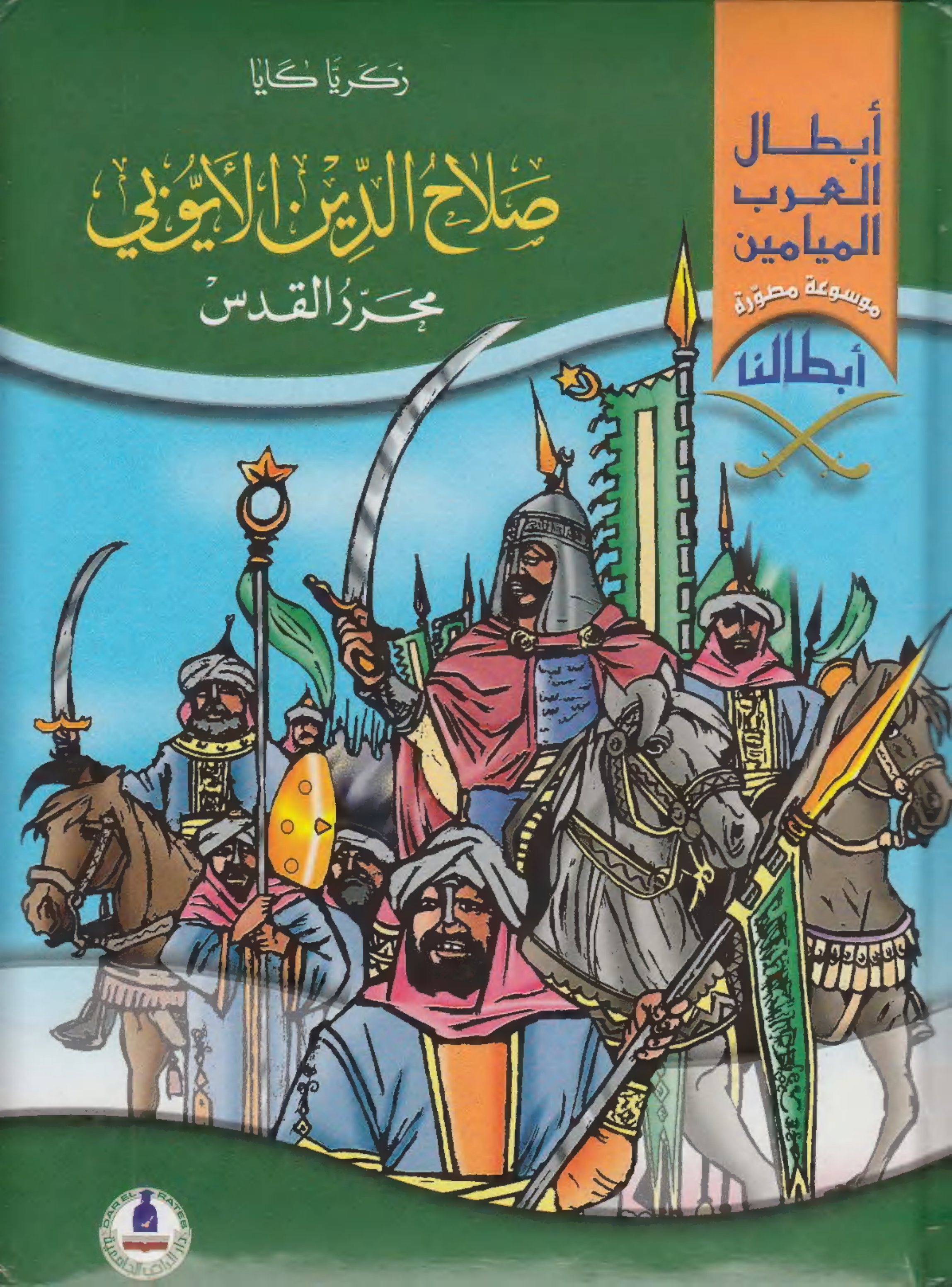


زكريا كايا
صلاح الدين الأيوبي
محرر القدس
أبطال العرب الميامين
موسوعة مصورة
أبطالنا
DAR EL RATEB



زَكَرِيَّا كَايَا

صَلاح الدّين الأيوبيُ

محرِّر القدس







الطبعة الأولى

ISBN 9953-30-012-7 (سلسلة أبطالنا ـ أبطال العرب الميامين)
ISBN 9953-30-013-5 (1 ـ سلسلة أبطالنا ـ صلاح الدين الأيوبي)

رسوم
الفنان زكريا كايا

تصميم وتلوين الرسوم
سامو برس غروب

مدير الإنتاج والمشرف العام
راتب قبيعه



هاتف : 853993 1 00961 ـ فاكس : 8539895 1 00961
ص.ب. : 5229 ـ 19 بيروت، لبنان ـ بريد الكتروني: el-rateb@cyberia.net.lb

مقدّمة تمهيديّة

بلغ الانحطاط أَوْجه في الامبراطوريّة العربيّة، وزالت أسباب قوتها ومنعتها، وبصورة خاصة في مطلع القرن العاشر الميلادي. و لم تنجح محاولات الأمير التغلبي سيف الدولة أو غيره من ترميم أوضاع العرب والمسلمين، أو حتى الإبقاء على شيء من هيبة الخلافة العباسيّة، التي صارت أثراً بعد عين. وحَرَّك ضعف العرب إلى هكذا قدر شهيَّة البلاد المحيطة، قريبة أو بعيدة باحتلال أرض العرب كلّها، والتي مزّقتها الصراعات الجانبيّة، العقيمة.

وفي مطلع القرن الثاني عشر الميلادي كانت صراعات السلاجقة الأتراك فيما بينهم للسيادة على بلاد سوريا الطبيعيّة قد أنهكت قوى البلاد والعباد، ومكَّنت الفرنجة من تثبيت أقدامهم هم أيضاً على أرض العرب متخذين نفاقاً إشارة الصليب شعاراً لغزوهم، وقد مدّوا أطماعهم إلى آفاق بعيدة أقلّها امتلاك أرض سوريا الطبيعية وجعل البحر المتوسط مرة أخرى بحيرةً تحت سيطرتهم.



وقد شهد الربع الثاني من القرن العاشر الميلادي نهوضاً عارماً، وبُذلت جهودٌ مُضْنية في سبيل توحيد كلمة العرب مسلمين ومسيحيين، مع كلمة كافّة الشعوب التي اعتنقت الإسلام، الذين نبتوا على أرض المشرق منذ غابر الأزمان أعني بصورة أخصّ الأكراد، الذين أَلِفوا العيش المشترك مع العرب.

وكان هدف هذا النهوض التصدّي للغزاة الطامعين، واستعادة كرامة العرب من الدَّنَس الذي لحق بها وتحرير الديار من الأغراب.

وقُدِّر لعشيرة كرديّة تقطن «تكريت» وما يجاورها، كانت تعمل في خدمة سلطان المَوْصل الكردي عماد الدين الزَّنكي، أن تنجب قائداً فذاً وبطلاً نبيلاً هو: صلاح الدين بن نجم الدين بن أيوب، قضى على السيادة التركية على رقعة ديار العرب. والتي ترقى إلى أيام «المعتصم» الذي أُمُّه تركية . وقد تعزز شأنهم تحديداً منذ العام 835 للميلاد.

يبدأ تاريخ البطل صلاح الدين بهرب والده نجم الدين بن أيوب حاكم تكريت العراقية، إثر حادث عارِض أثار حفيظة الخليفة العبّاسي، واضطرت العائلة كلها إلى الهرب وبلوغ المَوْصل وقد وُلِدَ صلاح الدين في الطريق وتحديداً عند الفجر من ذلك العام الذي صار عسكر «بهروز» العجم على تخوم تكريت يُريدون نصيباً لهم من المغانم من ثروات وديار العرب وذلك في العام 1138 للميلاد.

رَحَّب السلطان عماد الدين الزنكي ـ وهو حاكم المَوْصل ـ بنجم الدين وبأخيه «اسد الدين شيركوه» وألحقهما بجيش الموصل، فأسهما بقسط وافر من بسط سلطان السلطان عماد الدين على ديار الجزيرة العُليا الفراتية فبرز اسمَيْهما وسطع نَجْمَيْهما عالياً في السماء.

وعُيِّن نجم الدين أميراً على بعلبك بعد الاستيلاء عليها. وهنا نشأ وترعرع الفتى صلاح الدين واشتدّ ساعده، وقويت شكيمته وتهذّبت أخلاقه.

وفي هذه الأثناء كانت الحرب سجالاً بين السلطان عماد الدين الزنكي وبين الفرنجة وقد أصابت جيوشه انتصارات باهرة أسهم فيها بقسط وافر أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين.

وبرز اسم صلاح الدين بعد إحدى المعارك المريرة التي قادها في الحرب ضد الفرنجة، وعُقِد له لواء النصر فيها.

ولما ثارت في «مصر» فتنة «شاور» الوالي التركي على مصر سار أسد الدين شيركوه إلى مصر لقَمْعها فاصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين. وتمكّن في مصر من إخماد الفتنة والبطش برؤوسها، فعيّنه الخليفة الفاطمي العاضد، والفاطميون هم سادة مصر آنئذ. ولكنه توفي بعد شهرين فخلفه صلاح الدين في الوزارة، وكان هذا أول منصب رسمي يتبوأه صلاح الدين ومبتدأ مُستقبله الساطع.

وانصرف صلاح الدين إلى توطيد اركان دولته، فقضى على الفِتَن كافة ولاحق رؤوسها حتى كسر شوكتهم جميعاً، وأقام العدل بين الناس و لم يُفرّق بين أهل البلاد من مسيحيين أقباطاً ومسلمين، فتعززت الوحدة الوطنية والقوميّة إلى الحدّ الذي كان الأقباط يدعون له بالنصر والغلبة على الفرنجة على منابر كنائسهم تماماً كما كان يفعل

الأئمة المسلمون سواءً بسواء.

ثم طهّر حاشية الخليفة الفاطمي الفاسدة واجتثّ شأفتهم مرةً وإلى الأبد. وفي العام 1172 للميلاد وافت المنيّة الخليفة الفاطمي العاضد، فأقام له صلاح الدين مأتماً مهيباً، وأعقبه بإبطال الخلافة الفاطمية وأعاد الاعتبار إلى الخلافة العباسيّة. مما أتاح له وضع اليد على كنوز الفاطميين وبذلك توفّر له شأن تعزيز قدراته العسكرية، ولم يغفل اقتطاع حصة مهمة أرسلها إلى الخليفة العباسي.

وبدأ في حشد الطاقات فمدّ نفوذه حتى بلغ «قابس» في تونس غرباً، وبلاد النُّوبة جنوباً. وحجّ مكة المكرمة والمدينة. وبعد الطواف حول الكعبة الشريفة، انطلق إلى اليمن وحرّرها من نفوذ توران شاه الذي كان متعاوناً مع الفرنجة. ثم عاد وقطع الطريق على الملك الفرنجي «الآموري». وألحق من بعد الهزيمة باسطول صقلية الذي رسى في ميناء الاسكندريّة استعداداً لغزو مصر. كما أخمد نيران الثورة في السودان.

وإثر وفاة السلطان نور الدين الزنكي ـ الذي كان قد ورث أباه عماد الدين ـ اضطرب حبل الأمن وصارت بلاد الشام نهباً للفوضى، إذ انفرد كل حاكم ولاية بولايته. واهتبل الفرنجة هذه الفرصة السانحة فراحوا يشنون الحملات الحربيّة ويوسعون نفوذهم.

سارع صلاح الدين إلى دمشق ودخلها وسط مظاهر الترحيب والتأييد العارمين، ثم سار إلى حمص ومنها إلى حلب يريد تحريرها من السلجوقي كمشتكين الذي أوغر صدر اسماعيل بن نور الدين عليه. وبحنكة بالغة أمّن ولاء حلب له وصالح اسماعيل وولاه على حلب. نزولاً عند رغبة ابنة المرحوم نور الدين.

وتحركت مؤامرات الحشاشين، فتصدى لها وقضى عليها بحنكة ورويّة جعلت الحشاشين ينضمّون إلى صلاح الدين بهدف تحرير البلاد من الفرنجة.

كانت الأوضاع في عموم البلاد العربية صعبة والفرنجة الطامعون لا ينفكون من الإغارات والغزوات لمدّ نفوذهم وتوسيع رقعة «دوقياتهم» التي أقاموها على أرض الأمة العربية.

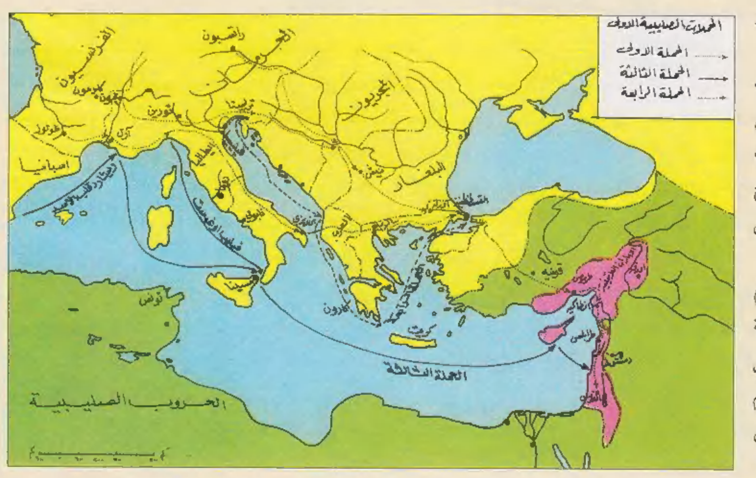
وكان رأس المتآمرين ملك القدس الفرنجي المدعو «آموري». فتصدى له وكانت بين الرجلين معارك كرٍّ وفرّ بلغت الذُّروة في معركة «حِطّين» حيث أنزل صلاح الدين الضربة القاصمة التي مهّدت له تحرير «بيت المقدس» وذلك في أيلول من عام 1187 ميلاديّة.

ولكن هذا النصر أعقبه قدوم تعزيزات عارمة من الفرنجة، أبرزها جيش وأسطول ملك انجلترا «ريتشارد قلب الأسد» الذي دكّ أسوار عكا دكاً وفتحها، ثم أُعلنت الهدنة بين الفارسين على شروط وضعت الحدّ للمعارك الضارية التي كانت تتوالى بين كرٍّ وفرّ.

ومن شروط هذه الهدنة: وقف القتال لمدة ثلاث سنوات. وأن يكون الساحل السوري من صور إلى يافا تحت سيطرة الفرنجة، وتبقى بيروت وصيدا وجُبَيْل لصلاح الدين. وتكون عسقلان مُجرَّدة من السلاح. وأن تكون زيارة الأماكن المُقدّسة حُرَّة أمام الجميع.

ونعمت بلاد الشام وأرض فلسطين بالسلام والطمأنينية. وتلك كانت المرّة الأولى التي يحافظ فيها الفرنجة على وعودهم التي يقطعونها للعرب والمسلمين.

ووافت المنيّة البطل صلاح الدين الأيوبي في دمشق عام 1191 ميلاديّة. ودُفِن في الجامع الأموي باجلال. ولم يُخلّف اي مالٍ خاص أو سواه. ودخل تاريخ الأمة العربية كرمز للشجاعة والشهامة ونظافة الكفّ، وحفر مآثره التي لا تُعَدّ ولا تُحصى في نفوس الأجيال العربية والإسلاميّة على حدٍّ سواء.



في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي، كانت صراعات السلاجقة الأتراك، فيما بينهم، على السيادة في سوريا، قد أنهكت قوى البلاد، ومكنت الغزاة الفرنجة الصليبيين من تثبيت أقدامهم على أرض العرب مما دفعهم إلى السيطرة على كامل أرض سوريا الطبيعية، من حدود جبال أمانوس وطوروس في الشمال حتى سيناء والعقبة في الجنوب.

وقد شهد الربع الثاني من ذلك القرن نهوضاً عارماً في سبيل توحيد قوى العرب والمسلمين، وذلك لدحر الغزو الاستيطاني المتدفق من بلاد الفرنجة عبر موجاته المتتالية، وقد برز اسم سلطان الموصل عماد الدين زنكي قائداً لهذا النهوض.

وقُدّر لعشيرة كردية، كانت تعمل في خدمة عماد الدين ومن بعده في خدمة ابنه نور الدين أن تنجب بطلاً هو صلاح الدين بن نجم الدين الذي قضى على السيادة التركية السلجوقية وقهر الأعجمي ووحّد كلمة العرب والمسلمين وتصدّى بنجاح للغزو الفرنجي.











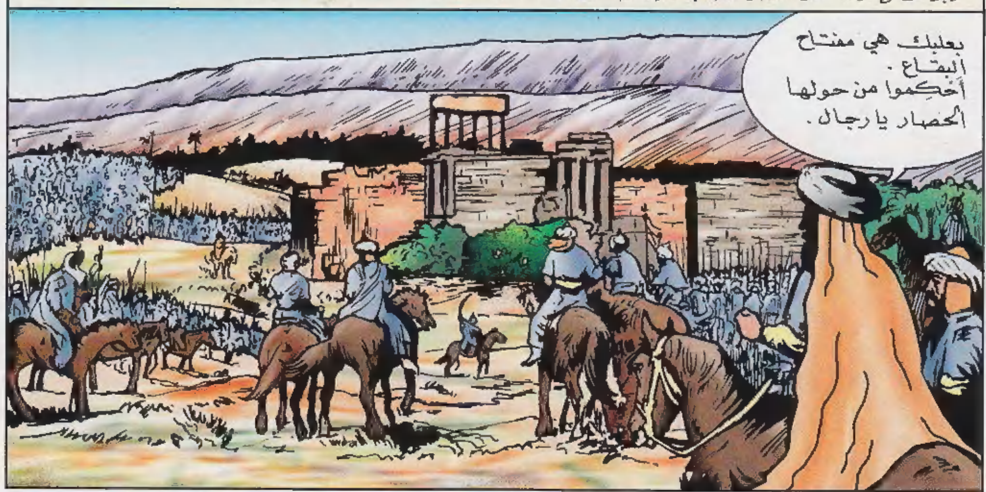




ومع حلول الظلام كانوا جميعًا على الطريق. وعند الفجر وُلد صلاح الدين. وكان ذلك عام 1138

رحّب السلطان عماد الدين بنجم الدين وأخيه شيركوه ووفّر لهما العيش الكريم ثم التحق الأخوان من بعد بجيش الموصل فأسهما بقسط وافر في بسط سلطان عماد الدين على الجزيرة الفراتية، خدمةً لأهدافه في توحيد البلاد العربية والإسلامية وتعزيزاً لقدراتها في التصدي لجحافل الغزاة الإفرنج التي زاد خطرها عقب تمكّنها من السيطرة على الساحل السوري.

وبعد أن فتح مدن سوريا الداخلية واحدة بعد أخرى توجّه نور الدين بجيشه نحو بعلبك جاعلاً شيركوه على رأسه.











كان شيركوه عم صلاح الدين مقاتلاً شجاعًا لا ينفك عن الخروج لمقاتلة الفرنجة، وكان يحرز النجاح تلو النجاح في غزواته ومعاركه، فتأثر به صلاح الدين وراح يرافقه في غزواته عندما اشتد ساعده...

يا عمّي أُريد التتلمذ عليك والاستفادة من خبراتك القتالية.

القتال يا صلاح الدين سلاحه الفكر السديد قبل اتقان ضربة السيف.

أنا مؤمن بالوفاء لتراب أرض المسلمين ولسوف أقف نفسي في سبيل تحريرها!

هذه الأرض مقدّسة، وهي مهدُ الديانات السماوية التي جاء إليها النبي محمّد خاتماً لأنبيائها!

برز اسم صلاح الدين وتألق نجمه وهو بعدُ في ريعان الشباب وتميزت شخصيته بالشجاعة والاستبسال والحكمة والنبل، وبذلك كان سيفاً واعدًا في معركة الوحدة وتطهير بلاد العرب والمسلمين من الغزاة الفرنجة.

وفي إحدى المعارك مع الفرنجة عمد صلاح الدين إلى مفاجأة العدو فهزمه وكان هذا أول انتصار له...

يا للهول...

تزعم شاور فتنة في مصر، فسيّر إليه نور الدين جيشاً عقد راية الرئاسة فيه لشيركوه الذي اصطحب معه صلاح الدين...


إرتاح الخليفة العاضد لمسير شيركوه إلى مصر للقضاء على المتآمر شاور الذي كان يتذبذب في ولائه بين مناصرة الخليفة تارة وتآمره مع الفرنجة تارة أخرى، همه دائمًا أن يقف إلى جانب المنتصر. وكان الفرنجة هم المنتصرين عقب احتلال جيوشهم للإسكندرية.
لن يستقيم الوضع في مصر وشاور سيّده.

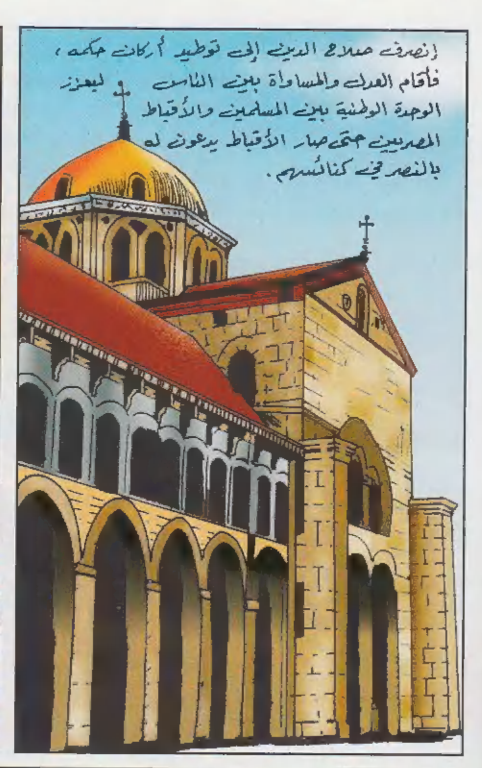

أدرك شاور أن وضعه ينذر بالخطر وأن الخليفة العاضد ونور الدين جادّان في القضاء عليه ...
لا بدّ لي من حيلة تقرّبني من شيركوه فاذا انتصر على الفرنجة إنقلبتُ عليه وفزت بمصر كلّها!


ولكن دهاء شيركوه وصلاح الدين أفسد عليه خططه فبعد الفراغ من هزيمة الفرنجة بطشا بشاور في معركة قصيرة بحجة مفاوضته.


إستوزر العاضد شيركوه على مصر وأصبح صلاح الدين ساعده الأيمن.
إن طرد الفرنجة مستحيل إلّا إذا وحّدنا مصر والشام.


وبعد شهرين توفي شيركوه، وخلفه صلاح الدين في الوزارة بأمر من الخليفة العاضد، كما ثبته نور الدين قائدًا لجيوش السورية، وأقبلت وفود الأمصار تهنئه وكان ذلك عام 1169
ليكتب اللهُ نصرَ العرب والمسلمين على يديك.
النصر يتمّ بإذنه تعالى وبفضل وحدة كلمتنا وصفوفنا.


دبّر حسّاد صلاح الدين والطامعون مؤامرة للإطاحة به فأعلمه أحد أعوانه بالمؤامرة.
إحذر يا مولاي ... إن البعض يريد بك شرًا.


إنصرف صلاح الدين إلى توطيد أركان حكمه ،
فأقام العدل والمساواة بين الناس ليعزز
الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط
المصريين حتى صار الأقباط يدعون له
بالنصر في كنائسهم .


وراح صلاح الدين ، وبيد من حديد يضرب العابثين بأمن المواطنين
اللصوص ودعاة الفتن .


إطمأن المصريون إلى حياتهم
وأرزاقهم وعمّ الازدهار البلاد
كلها...
ليحفظ الباري
عزّ وجل الملك الناصر
صلاح الدين .

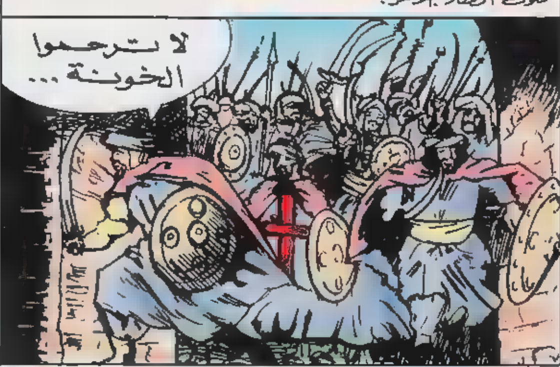

كان صلاح الدين من مجلسه يسوس البلاد ويسهر على شؤون العباد ولا تفوته شاردة ولا واردة
وأدرك أن حاشية الخليفة فاسدة وهي تشكل خطراً يجب القضاء عليه ووقف بين يديه ذات يوم
أحد عيونه...
ما وراءك
يا رجل ؟
فتنة رهيبة يا مولاي ...
رَأسها المدعو جوهر كبير
الطغيان .
مولاي خذ حذرك ...
إن أتباعه كُثُر يُعَدّون
بالألوف .


بل أكثر من خمسين ألفاً
والرجل مخادع وهو على
صلة بالفرنجة وأنصاره
لا يعلمون ذلك .



إشتبه جنود صلاح الدين برجل من اتباع الخائن جوهر، فأمسكوا به وفتشوه فعثروا في حذائه على رسالة من جوهر إلى الفرنجة يطلب فيها معونتهم للقضاء على صلاح الدين.
ياخونة... تتآمرون مع الأعداء الفرنجة ضدّ وطنكم وأمتكم ؟
والله يا مولاي ... لاعِلْمَ لي بمحتوى الرسالة.
لنضربَنّ عنقه في الحال ونبلّغ سيدنا صلاح الدين.
إنتزع الجند الرسالة من الأسير واقتادوه إلى صلاح الدين.
الرحمة يا مولاي...
لا يستحق الرحمة من أقدم على خيانة بلاده وأُمته.
أمر صلاح الدين باعتقال جوهر، فاقتيد إلى مجلسه ذليلاً.
إستبد الغضب بصلاح الدين وهو ينظر إلى رأس الفتنة، ماثلاً أمامه ذليلاً خائفاً...
اضربوا عنق هذا الخائن الفاجر.
عفوك يا مولاي... أبقِ على حياتي فأصيرَ خادمَك المطيع ...
وبعد أن حمل الجند الخائن جوهراً وضربوا عنقه. أطرق صلاح الدين مفكراً.
الآن وليس غداً. عليّ تطهير حاشية الخليفة الفاطمي من الخونة والفاسدين ...
واجتمع في الحال إلى قادة جنده وأمرهم بملاحقة أنصار جوهر...
يجب ألّا تغيب الشمس قبل القضاء التام على الفتنة.
لنطهّر حاشية الخليفة الفاطمي من الخونة والفاسدين.

توزّع جنود صلاح الدين في المدينة، في قصر الخليفة يطاردون فلول أنصار جوهر.







أمسك الجند بمعاون جوهر وخليفته في تزعم الفتنة وضربوا عنقه في ساحة عامة ...



وردت أخبار إلى صلاح الدين تفيد بتحرك آموري الفرنجي ملك القدس المحتلة وأن جيوشه تزحف نحو دمياط. فأعدّ صلاح الدين على عجل جيشًا لمواجهته بقيادة أخيه.

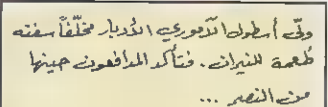


خلا صلاح الدين إلى نفسه بعد خروج القادة من حضرته ...

يا للمغفّل ... إنّ ظهرَ دمياط محميّ بالنيل وبيحر المصريّين اللّجب. فليس سهلاً أخذها من البحر.

حاصر أسطول الفرنجة بقيادة الآموري دمياط. والآموري يعتقد أن أنصار جوهر سوف يساعدونه من الداخل على احتلال دمياط ومن بعدها يحتل مصر كلّها. ولكن ظنّه خاب فإذا دمياط كلها بمسلميها وأقباطها تواجه أسطوله بوابل من النيران الكثيفة مستخدمة عشرات آلات المجانيق. فأوقعت في الأسطول الغازي الخسائر الفادحة وألحقت به هزيمة نكراء.





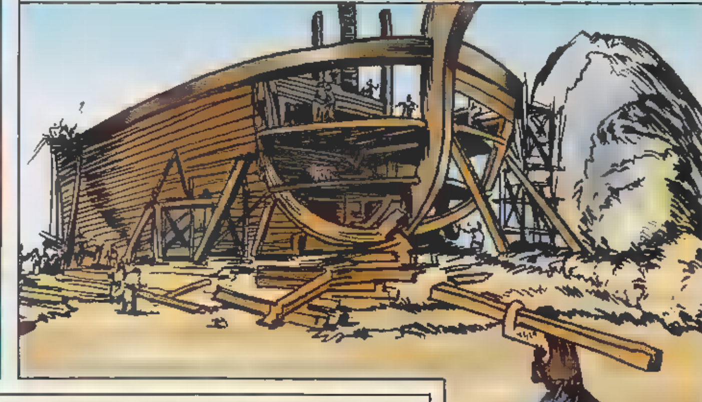




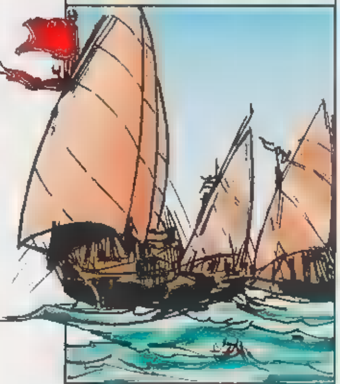




إنهمك المهندسون والعمال في صناعة السفن وفصّلوها قطعاً قطعًا ثم حمّلوها على ظهور الجمال وعبروا بها صحراء سيناء برفقة جيش كبير ... وعند حصن العقبة أعادوا تركيبها وزوّدوها بأبراج لدكّ قلعة العقبة الحصينة...



إحتشد الجند في السفن ثم أحكموا الطوق من حول العقبة بحرًا بينما شدّد بقية الرجال الحصار برًّا.



وبعد أن دكّت أبوابه القلعة أمر صلاح الدين جنوده بالاقتحام..

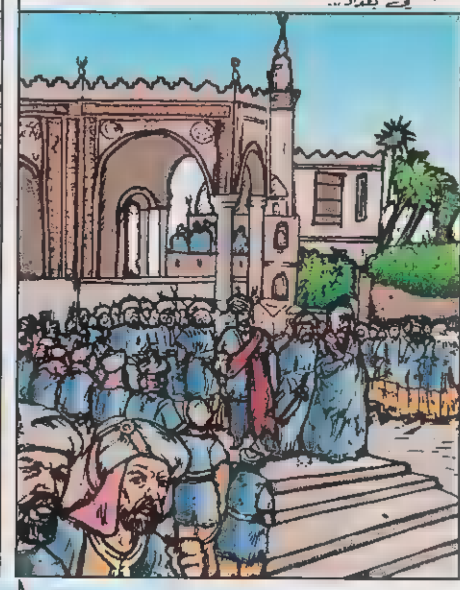
أرض العرب للعرب...
وطريق الحج ستكون آمنة بعد الآن...
هجوم...

ودارت داخل أسوار المدينة معركة رهيبة انتهت بانتصار جيش صلاح الدين ...



الله أكبر...
النصر...
النصر...

في عام 1172م وافت المنيّة الخليفة الفاطمي العاضد فأقام صلاح الدين له مأتماً مهيباً يليق بخليفة المسلمين وكان قد ضمن ولاء الخلافة له عقب تطهير حاشيتها الفاسدة وجاءت الفرصة الذهبية صلاح الدين ليتوجّه إلى القدس ويحرّرها من الفرنجة فأبطل الخلافة الفاطمية إلى الأبد وأمر بالخطبة للخليفة العباسي في بغداد...



واقتطع صلاح الدين نصيباً وافراً من كنوز الفاطميين العظيمة التي استولى عليها وأرسلها إلى الخليفة في بغداد، كما اقتطع قسماً آخر جعله من نصيب السلطان نور الدين في دمشق ليستعمله في تجهيز جيش الشام.





أمر صلاح الدين بإعداد القوافل لتسليم الأموال إلى دمشق وبغداد...



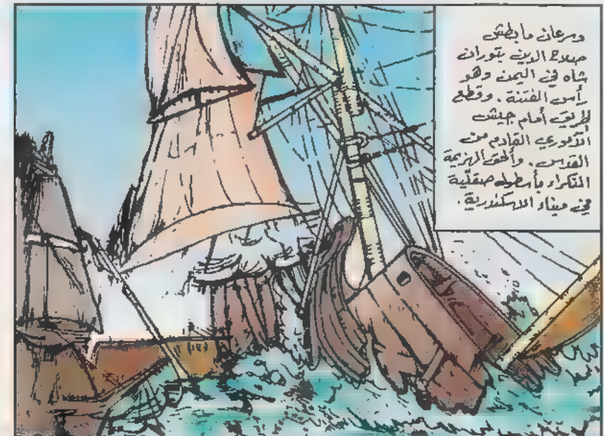
سارت القافلتان معاً إلى دمشق أولاً ثم انفصل ركبٌ إلى بغداد، بينما كان ركبُ دمشق يسلّم نور الدين حصّته من الأموال والكنوز.



وبلغ الموكب بغداد فسلم الكنوز والأموال إلى الخليفة العباسي وسط مظاهر الابتهاج والرضى...


بوركتَ يا فقيه... لقد أكدت لي ما كنت أشك فيه.
لنبطش بالمتآمرين قبل وصول أسطول صقلية القوي!
سيّدي... بلغني أن تحالفاً سريّاً يقوم الآن بين رئيس الحشاشين راشد بن سنان في الشام والآموري وملك صقلية وأنتم هدف هذا التآمر!
إستعمل صلاح الدين أموال الفاطميين في تعزيز الجيش وانطلق يتابع توسيع سلطانه حتى بلغ قابس في تونس غرباً، وبلاد النوبة جنوباً. وعقب طوافه حول الكعبة الشريفة وبعد مناسك العمرة مضى إلى اليمن واحتاط ثم عاد إلى مصر وسكن قصور الفخم الذي أقامه عند سفح جبل المقطم. وذات يوم جاءه فقيه مصري يعلمه بمؤامرة كبرى تدبّر في الخفاء...


لنبدأ بإعداد الداخل أولاً، نحن نستعد لمواجهة أسطول صقلية في الإسكندرية!


وسرعان ما بطش صلاح الدين بتوران شاه في اليمن وهو رأس الفتنة. وقطع الطريق أمام جيش الآموري القادم من القدس. وألحق الهزيمة النكراء بأسطول صقلية في ميناء الإسكندرية.


بلغ خبر هذه الهزائم وفشل المؤامرة إلى الآموري في القدس..
يا لصلاح الدين داهية!.. قد تكون نهايتنا على يديه...


واشتعلت نيران الثورة في السودان فأخمدها صلاح الدين بسرعة فائقة.


إثر وفاة السلطان نور الدين اضطرب الأمن في بلاد الشام وانفرد الولاة بالحكم وعزز الفرنجة قدراتهم العسكرية استعداداً لتوسيع رقعة نفوذهم، ووجد صلاح الدين أن الفرصة مواتية لتوحيد البلاد العربية تحت رايته فعزم على دعم الملك العادل في الشام بتأييد من الخليفة العباسي فسار إلى دمشق ودخلها وسط مظاهر التأييد والحماسة كالذي لقيه في المدن التي مرّ بها...


إحذر يا صلاح الدين حاشية الملك العادل وخاصة كمشتكين اللئيم.
سلجوقي ومناهض لوحدة العرب!... هذا محال!
إجتمع صلاح الدين بوالي دمشق ووقف منه على أوضاع بلاد الشام.

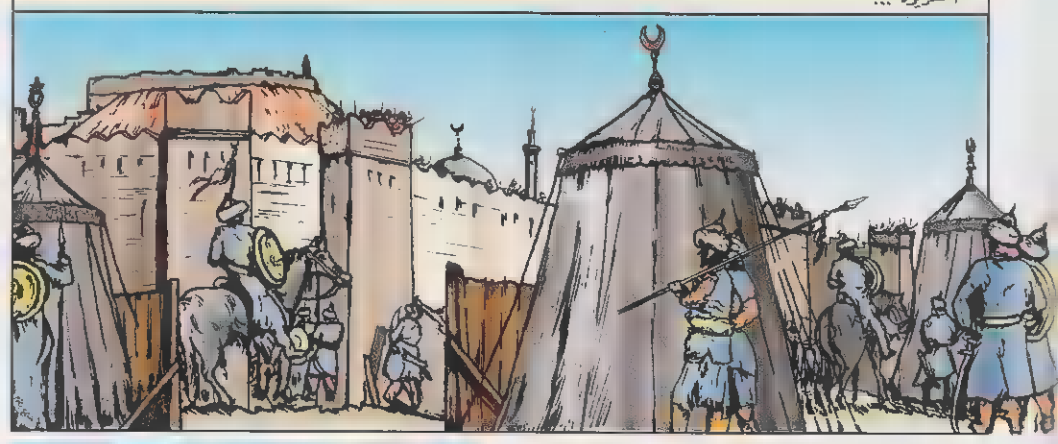

وضع صلاح الدين نصب عينيه هدف توحيد المدن الشامية كلّها فسار على رأس جيشه نحو حمص...


دخل حمص وسط مظاهر التأييد والزينات وابتهاج الأهلين.


واجتمع صلاح الدين مع والي حمص...
إحذر يا صلاح الدين... إن كمشتكين السلجوقي قد أوغر صدر الملك العادل عليك...
إن الملك العادل إنسان طيب وإني لمنقذه من حاشية السوء.


كان الملك العادل قد أنذر صلاح الدين وطلب منه العودة إلى مصر وهدّده بالعقاب الصارم إن هو لم يفعل وأثناء إقامته في حمص راح القائد الفذّ يفكّر في إنذار الملك العادل له.
لا بدّ من ضرب رأس الفتنة كُمشتكين والي حلب.

عبر صلاح الدين مدينة حماة الموالية له ووصل حلب وضرب من حولها حصارًا شديدًا وراح يعلن للأهلين نواياه السليمة؛ وبأنه جاء للإنقاذ الملك العادل من حاشية السوء التي تستغله لأربها الدنيئة، ولكن مكر كمشتكين أفشل حملته الدعائية فأغلقت المدينة أبواب أسوارها وتحصّن أهلها داخلها. وإمعانًا في مكره راح كمشتكين المخادع يطوف في شوارع حلب باكيًا مستعطفًا ومروعًا الأهلين بنوايا صلاح الدين الشريرة ...



وخفية أرسل كمشتكين رسولاً إلى زعيم الحشاشين راشد بن سنان لإيغار صدره وحمله على اغتيال صلاح الدين ...





اندسّ الحشاشون بين جنود صلاح الدين واقترب أحدهم منه.

وثب الحشاشي لاغتيال صلاح الدين فاعترضه أحد الحرس وقتله.



أدرك صلاح الدين أن الحشاشين باتوا يشكلون خطرًا عليه.






طال حصار صلاح الدين لحلب. ووقف على حقيقة مكر كمشتكين واستنجاده بالعدو الفرنجي ريمون الثالث "قومص" أمير طرابلس الصليبي. ولكنه فوجئ بمسير ريمون نحو حلب واستيلائه على حمص، فأدرك ضخامة حشود الفرنجة وقدراتهم الهائلة فخشي الهزيمة أمامهم فقرر العودة الى دمشق وعدم الاصطدام بهم.
فكّوا الحصار واستعدوا للعودة إلى دمشق حالاً.
سمعًا وطاعة يا مولاي!


وقامت الاستعدادات لفك الحصار والمسير باتجاه دمشق.
الوجهة دمشق... إلى الأمام سِرْ...


إن الفرنجة لن تنسى خطوتك المباركة هذه.
لقد أوعزت بإطلاق أسرى الفرنجة تنفيذاً لوعدي...
عجز ريمون عن تفسير خطوة صلاح الدين، ولكنه اعتبر معونته لكمشتكين قد أنجزت. وبقي له أن يطالب كمشتكين بإطلاق أسرى الفرنجة الذين في حلب. فأذعن كمشتكين لمطالب الأمير ريمون واجتمع إلى الأمير الأسير لديه دي شاتيون.
أطلق كمشتكين أسرى الفرنجة لدى الملك بارتباطه بالعدو وها هو يطلق الجنود المقاتلين الصليبيين
العار متوجاً خيانته الدنيئة الأسرى ليعودوا ويقاتلوا في ضد العرب والمسلمين.


استقبل ريمون نبأ إطلاق الأسرى الفرنجة ومن بينهم الأمير دي شاتيون والأمير دي كورتناي بسرور بالغ وهو في طريق العودة إلى مقره في طرابلس


عرّج صلاح الدين على بعلبك في طريق عودته إلى دمشق وأعاد فتحها وضمها إلى سلطانه وثارت ذكرياته في صدره وهو يجول في مرتع طفولته...
بوركتِ يا مدينة الشمس يا مرتع صباي وملاعب طفولتي!


تزعّم سيف الدين غازي أمير الموصل مؤامرة للقضاء على صلاح الدين بالتعاون مع كمشتكين رغم هزيمته غربي حماة ومصالحته لصلاح الدين. وبعث رسولاً حمّله كتابين أحدهما إلى صلاح الدين يداهنه والثاني إلى زعماء حلب يؤلّبهم لحرب صلاح الدين ويطلعهم على اشتراك الفرنجة معه. وكان الرسول الغبي عندما مثل أمام صلاح الدين أخطأ بين الرسالتين فسلّمه الرسالة الموجّهة الى زعماء حلب...
حفظ المولى عزّ وجلّ سيّدك.
مولاي... إن سيّدي أمير الموصل يرفع لمقامكم الجليل أسمى آيات الحب والوفاء...


يا لـه من رجـل لئيم...
وتسلّم صلاح الدين الرسالة الخطأ والتهم سطورها على عجل واستبدّ به الغضب...


اضربوا رقبة الرسول في الحال... وليستعدّ الجيش للقضاء على الفتنة في المهد...


وضرب الجلاد رأس الرسول الغبي...


زحف صلاح الدين على رأس جيشه إلى حماه والتقى بجيش الخونة المتحالفين عند "تل السلطان" بين حماة وحلب ودارت معركة مروعة انتصر فيها صلاح الدين وفرّق صفوف الأعداء شرّ تمزيق وأسر عدداً كبيراً من الجنود وغنم الكثير من العتاد...
لن يهدأ بالي قبل احتلال حلب والقضاء على كمشتكين رأس الأفعى السامة...




وبعد هزيمة المتآمرين في قتل السلطان تابع صلاح الدين زحفه المظفّر نحو الشمال فاحتل أعزاز ومَنْبج قبل أن يمّم شَطْرَ حلب وقد عقد العزم على فتحها واحتلالها.


حلب هي وكر المتآمرين، وكمشتكين هو المحرّض الأكبر على الفتنة وليس لنا سوى إحراز النصر وسحق الخيانة
وعندما بلغ صلاح الدين مشارف حلب أمر جيشه بضربها بقسوة واحتلالها بأي ثمن...


هذه المرة ليست كسابقاتها إن الهزيمة واقعة لا محالة.
شهدت حلب أكبر حصار وأقساه في تاريخها فاستبد الهلع والرعب في نفوس أهلها...


وضُرِبَت حلب بعنف بالمنجنيق وارتفعت فوقها عاليًا أعمدة كثيفة من الدخان...


ومن مقرّه داخل قلعة حلب أدرك كمشتكين نوايا صلاح الدين الحازمة وأحسّ بخطر النهاية الوشيكة ففكّر يائسًا في حيلة ينقذ بها رأسه.
ليس خيرًا من استغلال ابنة السلطان نور الدين الصغيرة لطلب العفو وفكّ الحصار ...







عاد صلاح الدين إلى معسكره ليأمر بتنفيذ ما وعد.

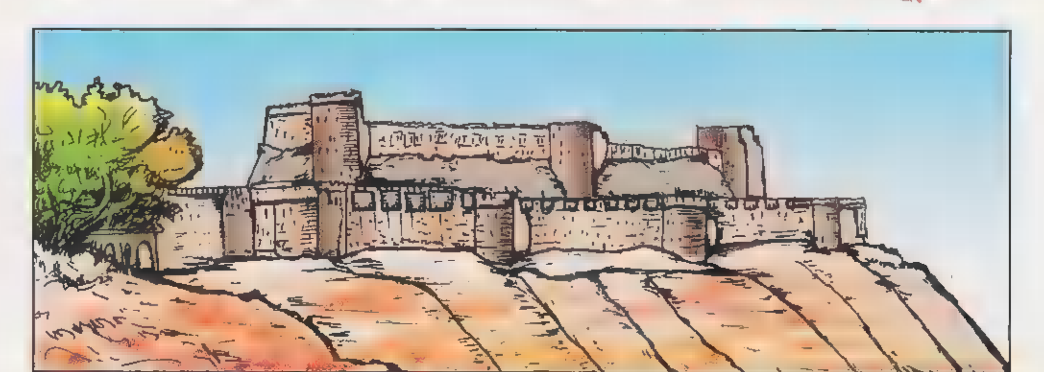
أطلقوا الأسرى كافة حتّى الجرحى منهم بعد تطبيبهم واحملوا هدايا نفيسة إلى ابنة نور الدين.







* الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي ووريثه القاصر في الملك.



كانت قلعة مصياف حصناً للحشاشين ومقراً، لزعيمهم راشد بن سنان، وكان الحشاشون حلفاءً للفاطميين في بلاد الشام، وقد اعتمدوا الاغتيال والإرهاب أسلوباً لتحقيق أهدافهم فسعوا للانتقام من صلاح الدين إذ عدّوه مسؤولاً عن القضاء على الدولة الفاطمية في مصر، وحاولوا اغتياله مرات عدة.



إجتمع راشد بن سنان إلى أركان حربه ومعاونيه في القلعة وقد عزم على تحدّي صلاح الدين.





ونفذ أحد أعوان راشد الأمر وتسلل إلى مخدع صلاح الدين وثبت كتاب الإنذار بخنجر مغروز بريشة





وعندما استيقظ صلاح الدين وقع نظره على إنذار سنان له مثبّتاً بخنجر.



إستبدّ الغضب بصلاح الدين وقرر سحق الحشّاشين إلى الأبد.

أحكم صلاح الدين الحصار من حول قلعة مصياف وراح يدكّها بالمنجنيق دكًّا شديدًا وقد وطّد العزم على سحق الحشاشين ليتفرّغ كليةً إلى حشد قدرات العرب والمسلمين ومواجهة الغزاة الفرنجة وطردهم.



إكرامًا لخاله وافق صلاح الدين على العفو عن مصياف وأهلها وراشد والحشاشين.

على راشد وأنصاره وضع حدّ نهائي لأعمالهم التخريبية والإرهابية وعليهم معاضدة جيش المسلمين في قتال الغزاة الإفرنج ولهم الأمان.




الرجل شهم وأهل للثقة
إننا من أنصاره
منذ الساعة.
عاش صلاح الدين
قائد العرب
والمسلمين ...
إجتمع راشد بن سنان إلى كبار معاونيه في
مقرّه داخل قلعة مصياف .


وأمر سنان إعلان نبأ ولائه
وأنصاره لصلاح الدين وأنه ذاهب
بنفسه للقاء صلاح الدين .
الله أكبر...
يا للفرحة الكبرى.


هذا يوم مشهود .
يوم وحدة كلمة
المسلمين .
فُكّ الحصار عن مصياف وقلعتها
وخرج الأهلون إلى الشوارع
مهللين مكبّرين .


ومَثَلَ راشد بن سنان أمام صلاح الدين وقدّم له
فروض الطاعة والولاء .
يا راشد : إنّ في وحدة
المسلمين قوّتهم وبها
بعد الله يستعينون.
يشهد الله على
أني لن أشهر سيفي
سوى في خدمة بني
قومي عربًا ومسلمين
وبعد وفاة اسماعيل
تزوّج صلاح الدين والدته
"عصمت هانم" ثم عقد
هدنة مع الفرنجة ...


نعمت البلاد فترة من السلام والطمأنينة
وانصرف صلاح الدين لرعاية شؤون الأهلين
وأحوالهم المعيشية . وأخذ ينزل إلى الأسواق
ليقف على الأحوال بنفسه .
وسّعوا
الطريق للملك
الناصر صلاح
الدين الأيوبي .

نقض الفرنجة الهدنة المعقودة بينهم وبين صلاح الدين. وراحوا يشنون الغارات تلو الغارات على أطراف دمشق وبعض المدن الشامية وحققوا في ذلك انتصارات وأسروا أحد قادة صلاح الدين وقهروا أخاه توران شاه.

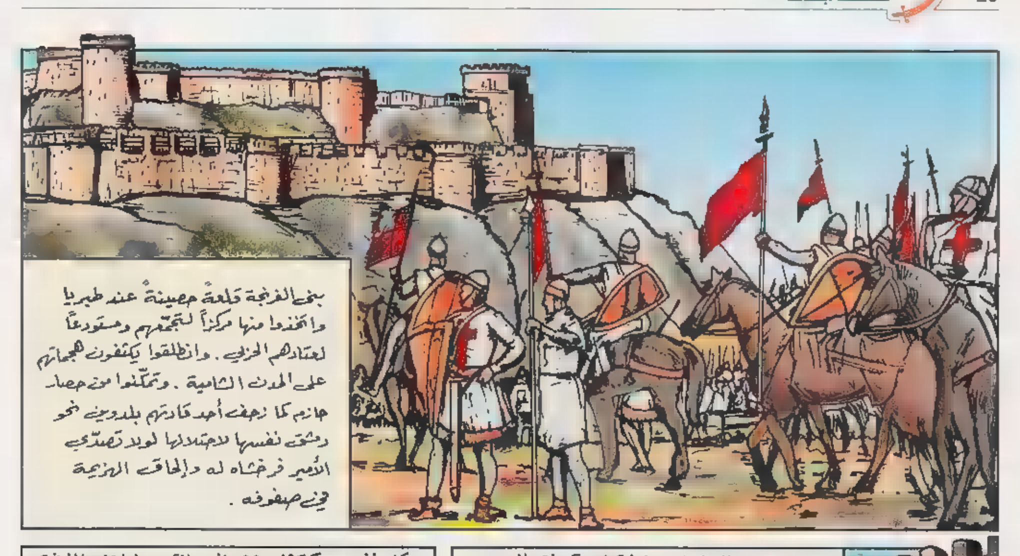
استبد الغضب بصلاح الدين فأخذ يعدّ الخطط لردعهم.

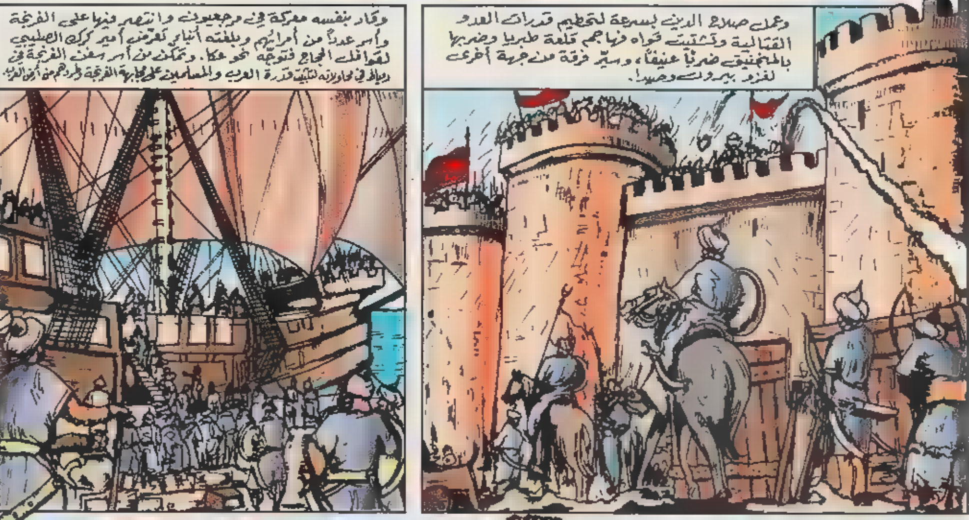
عليّ أن أحدّد زمان ومكان المعركة.

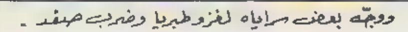












ووجّه بعض سراياه لغزو طبريا وضرب صفد.

إن صلاح الدين
منتصر حتماً إن استمرت
الحرب على هذا النحو
لا بدّ من عقد هدنة
تنقذنا.

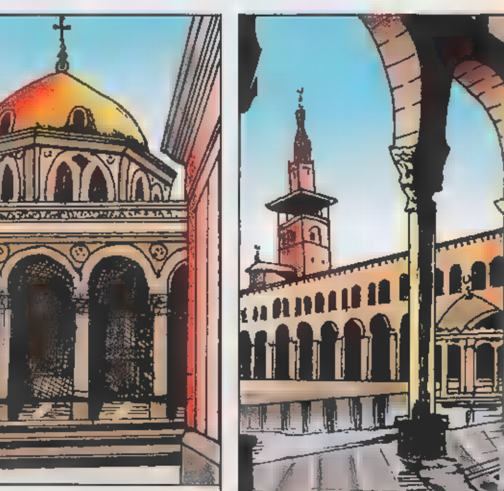
أوقعت الضربات المتلاحقة والمتعددة الأماكن التي كالها
صلاح الدين للفرنجة البلبلة والارتباك في صفوفهم.



بادر ملك القدس الصليبي إلى لقاء صلاح الدين، وعقد معه هدنة مدتها سنتان تشمل جميع المدن السورية، وحتى أمير طرابلس المتمرد أبداً اضطر إلى الخضوع لأحكامها.



عدّ صلاح الدين وصية إسماعيل المتوفى في تولية خلفائه عليها باطلة. لأنه لا يحق ولاية حلب ووفق عهده لغير الملك إسماعيل وحده. فسار إلى حلب واستولى عليها ودخل قلعتها منتصراً.



إنضمّ أمير انطاكية الصليبي إلى زملائه وعقد صلحاً مع صلاح الدين وبذلك عمّ السلم أرجاء سوريا كافة من أمانوس حتى سينا. واتخذ صلاح الدين دمشق مقرّاً له.



تمسّك صلاح الدين بأصول الدين الحنيف فعمّ الوئام بين أهل البلاد مسلمين ومسيحيين وإمعاناً في التسامح الديني أبقى كنيسة مريم الشهيرة في يد المسيحيين العرب من أهل البلاد.

وجلس صلاح الدين في داره بدمشق مطمئناً لما أنجز وقد دانت له أنحاء سوريا والجزيرة والموصل ومصر وسواحل إفريقيا الشمالية واليمن.



كان أمير كرك دي شاتيون أول من خرق الهدنة وأغار على قافلة عربية كانت متوجهة نحو دمشق وسلب حمولتها وأسر أفرادها وزجّهم في سجون قلعة كرك. وعندما طالب صلاح الدين أمراء الفرنجة بالتقيّد بأحكام الهدنة وتصحيح خرق دي شاتيون لم يردّ على طلبه أحد منهم. فاتخذ صلاح الدين قراراً بالحرب واحتلال القدس، وراح يعدّ لتنفيذه. فأمر بحشد أقصى ما يمكن من الجيوش، رغم مرضه، فوافاه جيش مصر وانضمت جموع القبائل العربية في جيش واحد. وسار الى تل عشترة استعداداً للمعركة.

نصرٌ من الله وفتح قريب!

ما اجتمع العرب يوماً على أمر إلّا وكان النصرُ حليفهم..

وفي حزيران من عام 1187م، كان صلاح الدين يمضي الليل في معسكره متفقداً كتائب جيشه العرمرم.

غداة غد يوم مشهود له.

الجهاد في سبيل الله وفي سبيل تحرير أرض العرب والمسلمين واجب مقدّس فابذلوا له الغالي.

ومع إطلالة الفجر الأولى انتظم عساكر صلاح الدين استعداداً لخوض أكبر معركة وكان جيشه يعدّ نحو عشرة آلاف فارس وثلاثة عشر ألف راجل وعدداً غفيراً من المتطوعين ومن القبائل العربية البدوية.

وفي الجانب الآخر حشد الفرنجة نحو اثنين وعشرين ألف مقاتل بين فارس وراجل. وتوحّد أمراء الفرنجة الصليبيون كافة لقتال العرب متناسين خلافاتهم ونزاعاتهم.

ستكون المعركة مرعبة وقاسية هذه المرّة.

دمّروا حشود العدوّ في معارك كرّ وفرّ.

الله أكبر. الله أكبر...

صمّم صلاح الدين على تجنّب خوض المعركة الحاسمة والعدوّ بكامل قوته عدداً وعُدّةً ومعنويات. فعبر نهر الأردن وأخذ يناوش جيش العدوّ حرباً عواناً على تجمعاته تحطيماً لمعنوياته، لتسهل عليه مجابهته في المعركة الحاسمة.



تنبّه الفرنجة لأسلوب صلاح الدين في محاربتهم فانكفأوا مجتازين نهر الأردن متحاشين مباشرة المعركة.



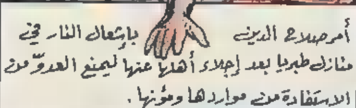




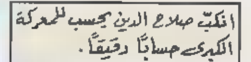
سار جيش الفرنجة الصليبي لفتح طبريا بقصد تعزيز مركزه القتالي كما قدّر صلاح الدين...



سبق صلاح الدين الفرنجة واستولى على طبريا وقطع عليهم طرق الإمدادات والمياه، وبذلك ضمن دعامة هامة من دعائم النصر.



أمر صلاح الدين بإشعال النار في منازل طبريا بعد إجلاء أهلها عنها ليمنع العدوّ من الاستفادة من مواردها ومؤنها.



انكبّ صلاح الدين يحسب للمعركة الكبرى حسابًا دقيقًا.





وأرسل فرقًا إلى العيون والآبار المحيطة بالمكان وأحكم سيطرته عليها.



دبّ التعب والإرهاق في صفوف العدوّ وعندما وصل إلى سهل حطّين وكان قد أضناه العطش نظرًا لعدم تمكّنه من توفير المياه لجنوده.


حمل صلاح الدين على جيش الفرنجة حملةً كاسحةً، ودارت
معركة رهيبة بين الفرنجة وجيش العرب والمسلمين
استبسل فيها جنود صلاح الدين وأوقعوا
الإصابات البليغة في صفوف العدو.
ولم يكد الليل يرخي سدوله على أرض
المعركة حتى لاذ جيش الفرنجة بالفرار
ولجأوا إلى التلال المحيطة بسهل حطين
بغية التقاط
الأنفاس.

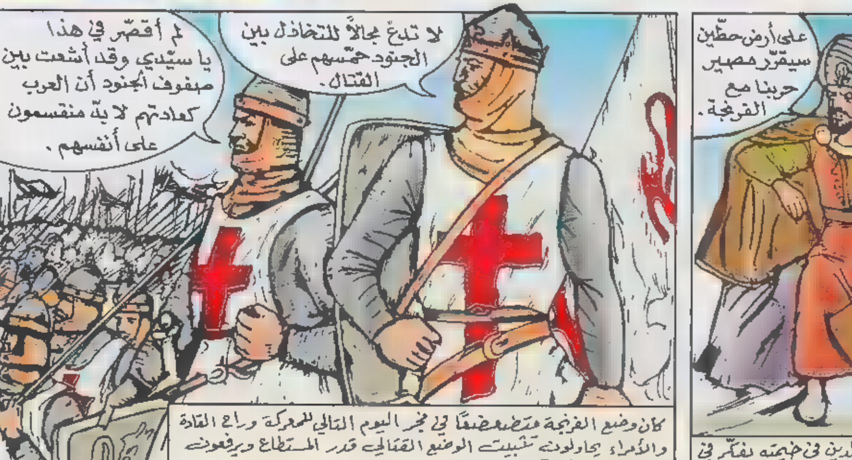
استغلّ صلاح الدين البلبلة التي دبّت في صفوف العدوّ وطوّق تحت جنح الظلام تلال حطّين بقواته ليقوّي موقع عسكره القتالي في المعركة المقبلة في النهار التالي.





سهر صلاح الدين معظم الليل متنقلاً من موقع عسكري إلى آخر ليتأكد من التنفيذ الدقيق لأوامره.





وجلس صلاح الدين في خيمته يفكّر في المعركة ربّما فاته استعداد مهمّ.

كان وضع الفرنجة متضعضعًا في فجر اليوم التالي للمعركة وراح القادة والأمراء يحاولون تثبيت الوضع القتالي قدر المستطاع ويرفعون معنويات جنودهم المنهارة.



ومع ظهور خيوط الفجر الأولى علا التكبير صفوف العرب والمسلمين وهجموا هجمة الرجل الواحد وانقضّوا على الفرنجة واقتحموا في معركة رهيبة دار القتال فيها شرساً وأبلى جيش صلاح الدين البلاء الحسن فتضعضعت صفوف الفرنجة وانهارت أمام شدّة ضربات المقاتلين العرب والمسلمين المتلاحقة ...



وأدار صلاح الدين المعركة بحكمة ودهاء.



وأسهمت فرق النبّالة بدور بارز في المعركة.



تمكّن الفرنجة من زعزعة إحدى الفرق العربية وفتح ثغرة خلالها وظنّوا أنهم تمكّنوا من العرب.



سدّ العرب الثغرة على الفرنجة وشطروهم شطرين ...




لقد انتصر ريمون في اقتحام صفوف صلاح الدين
بل قل قضي على ريمون، إن جيشه مخترق ومطوّق..
ظنّ أمراء الفرنجة أن النصر عقد لواءه لهم عندما رأوا جيش المسلمين ينحسر عن فجوة واسعة وأن جنودهم يقتحمون جيش المسلمين وسط مظاهر الابتهاج ولكن ظنّهم خاب عندما رأوا جيش المسلمين يطوّق القوة الهاجمة.

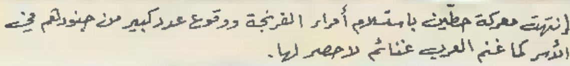

الله أكبر... لقد أزفت الساعة الحاسمة للنصر
الله أكبر... نحن لها.
حانت اللحظة الحاسمة في المعركة فانتهزها صلاح الدين بعبقرية نادرة.

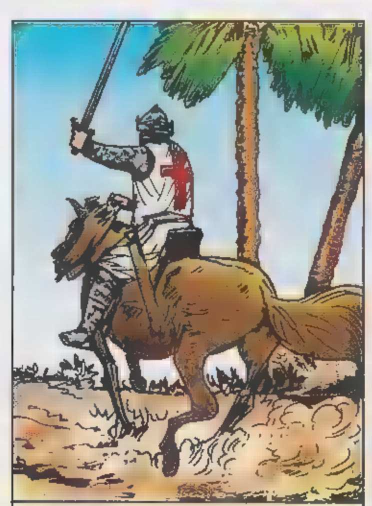

انتظمت صفوف العرب والمسلمين في تشكيلات رائعة وانقضّت في هجومها الأخير على جيش الفرنجة ومزّقته شرّ ممزّق...
الله أكبر...


أركن الفرنجة إلى الفرار وقد استبدّ بهم الهلع.
يا للهول... لقد هزمنا المسلمون


أنجوا بأرواحكم... إنها الهزيمة... الهزيمة...







تمكّن ريمون أمير طرابلس من الفرار وظلّ هائماً على وجهه حتى وصل إلى طرابلس في حالة مؤثّرة.



وراحت تتوافد إلى حضرته رؤوس الفرق والكتائب ناقلة إليه أنباء المعارك وأخبار استبسال الجنود... وأحوال الفرنجة المنهزمين.






شكرًا لتواضعكم النبيل... هل لي أن أطمع في شربة ماء...
خذ قسطك من الراحة ولا تخشَ بأسًا. إن طلباتك كافة ستلبّى!
استقبل صلاح الدين كبار أسراه من ملوك الفرنجة في سرادقه الخاص بما يليق بمقام الملوك وجريًا على عادات العرب الكريمة، وكان الملك غي خائر القوى حتى كاد يسقط إعياءً فأسعفه صلاح الدين بنفسه وهدّأ من روعه.


وبعد أن نال غي قسطًا من الراحة قدّمت له كأس فيها ماءٌ قراح.

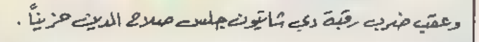

ليعلم الملك غي أنه بيده سقى دي شاتيون.
شرب غي نصف ما في الكأس من ماء وقدّم إلى أمير كرك دي شاتيون بقصد إنقاذ حياته.

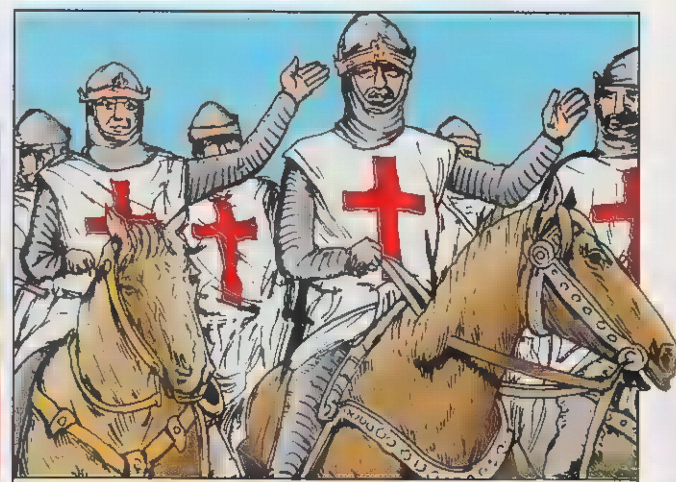

إن عاداتنا وتقاليدنا العربية تقضي إذا أطعم أحدنا أو سقى أسيره بيده عنى به أنه أعطاه الأمان.


ملوك الفرنجة أكبر من أن يلجأوا إلى أساليب ذليلة لإنقاذ حياتهم.
ردّ دي شاتيون مقاطعًا يلوم كلام صلاح الدين.


أضربوا عنق هذا الخسيس، فهو لا يستحق الرحمة.


والله لو كان هذا الرجل يتمتع بذرة من الأخلاق الحسنة لعفوت عنه.


وعقب ضرب رقبة دي شاتيون جلس صلاح الدين حزينًا.



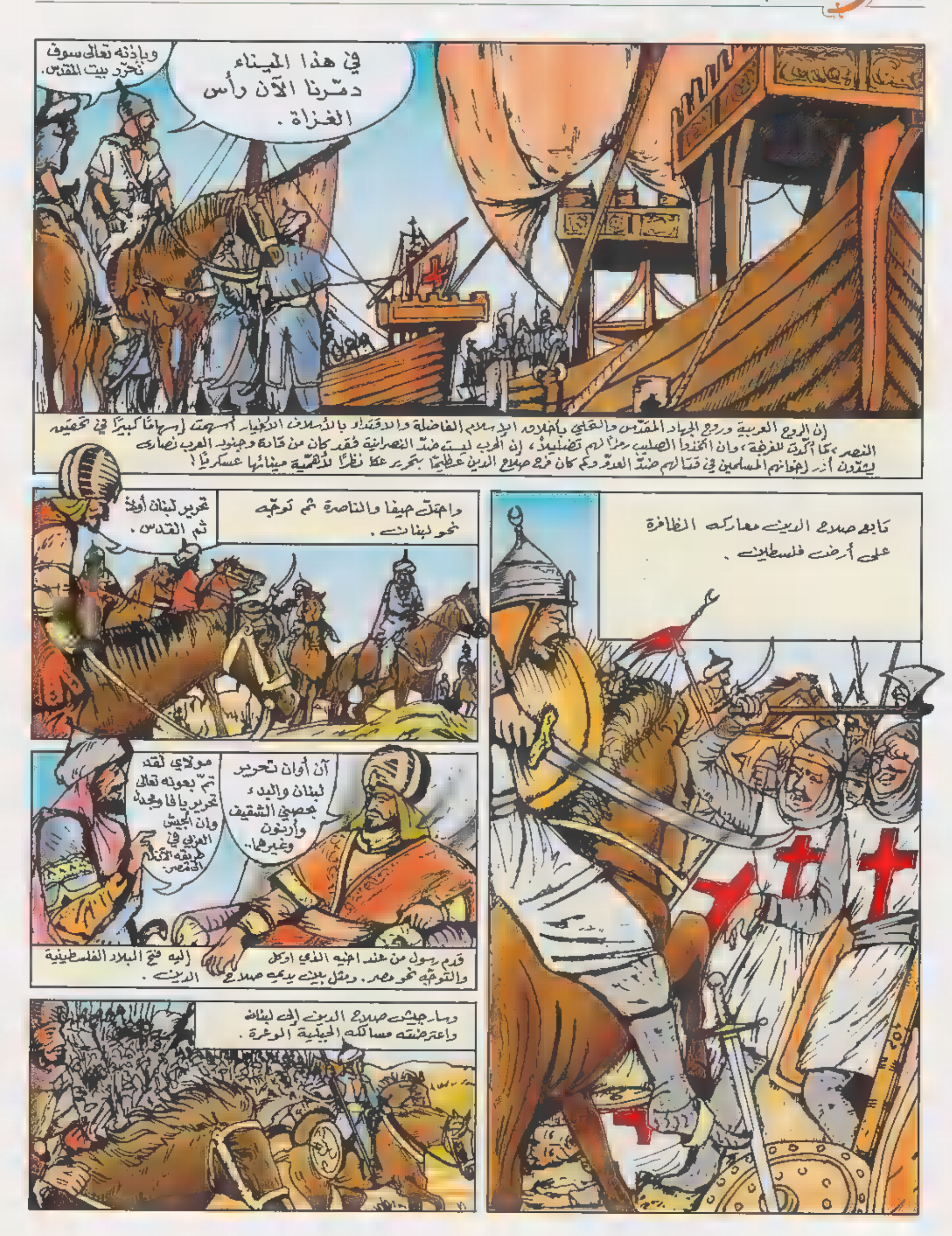
بعد الهزيمة النكراء في حطّين أيقن الغزاة الفرنجة أن لا بقاء لهم في ديار العرب وقد أكرم صلاح الدين الملوك الأسرى ثم أطلقهم أحراراً ولبّى طلب الملك في إبقاء أسقف الناصرة لمعالجة مرضى وجرحى الفرنجة. وغادر الملك إلى دمشق شاكرين الملك الناصر صلاح الدين.



عزم صلاح الدين على الاستفادة من النصر الكاسح الذي حققه في حطين من أجل تحرير باقي البلاد العربية الواقعة تحت نير الاحتلال الفرنجي الصليبي.

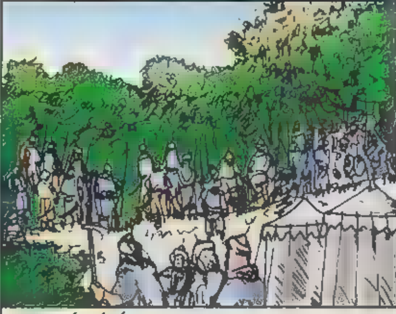
كان صلاح الدين يحاصر المدن التي يدافع عنها الفرنجة بعناد، ثم يدكّها دكّاً حتى تستسلم له.

وتمّ الاستيلاء على المدن الفلسطينية بسهولة متناهية واحدةً بعد الأخرى.


في هذا الميناء دمرنا الآن رأس الغزاة .
وبإذنه تعالى سوف نحرر بيت المقدس.
إن الروح العربية وروح الجهاد المقدس والتحلي بأخلاق الإسلام الفاضلة والاقتداء بالأسلاف الأخيار أسهمت إسهامًا كبيرًا في تحقيق النصر، كما أكدت للفرنجة، وإن اتخذوا الصليب رمزًا لهم تضليلًا، إن الحرب ليست ضد النصرانية فقد كان من قادة وجنود العرب نصارى يشدون أزر إخوانهم المسلمين في قتالهم ضد العدو وكم كان فرح صلاح الدين عظيمًا بتحرير عكا نظرًا لأهمية مينائها عسكريًا!
تابع صلاح الدين معاركه الظافرة على أرض فلسطين .
واحتل حيفا والناصرة ثم توجه نحو لبنان .
تحرير لبنان أولاً ثم القدس .
آن أوان تحرير لبنان والبدء بحصني الشقيف وأرنون وغيرهما..
مولاي لقد تم بعونه تعالى تحرير يافا وجدة وان الجيش العربي في طريقه الآن الى مصر.
قدم رسول من عند اخيه الذي اوكل إليه فتح البلاد الفلسطينية والتوجه نحو مصر. ومثل بين يدي صلاح الدين .
وسار جيش صلاح الدين إلى لبنان واعترضته مسالكه الجبلية الوعرة .


كانت قلعة أرنون المطلّة على لبنان الجنوبي وسهول مرجعيون من أهم الحصون التي يعتمدها الإفرنج ومنها يهدّدون جنوبي لبنان وشمالي فلسطين. وقد بذلوا الجهود المضنية في تحصين القلعة وخبأوا فيها سلاحاً كثيراً وعززوا حاميتها بأفضل مقاتليهم حتى باتت في نظرهم حصناً لا يغلب ورمز وجودهم على أرض العرب.
أقام صلاح الدين في مرجعيون بعد أن طهّر حصن هونين ثم أحكم حصاراً قوياً حول أرنون وراح يدكّها بالمنجنيق دكّاً شديداً. ولقي من المدافعين استبسالاً ومقاومة عنيفاً وبصعوبة بالغة تمكّن من فتح ثغرة في أحد أسوارها مما سمح له بالهجوم.
الله أكبر... هجوم.
الله أكبر... هجوم
اقتحم جنود صلاح الدين الأشاوس قلعة أرنون ودارت فيها معركة رهيبة.
وتمّ الاستيلاء على الحصن المنيع واقتيد الأسرى إلى معسكر صلاح الدين فأطلقهم القائد الشهم سراحهم جميعاً تكريماً لاستبسالهم في القتال.




ضرب صلاح الدين نطاق حصاره حول القدس أملاً في أن يدخلها صلحًا. وعسكر فوق جبل الزيتون المشرف على المدينة.

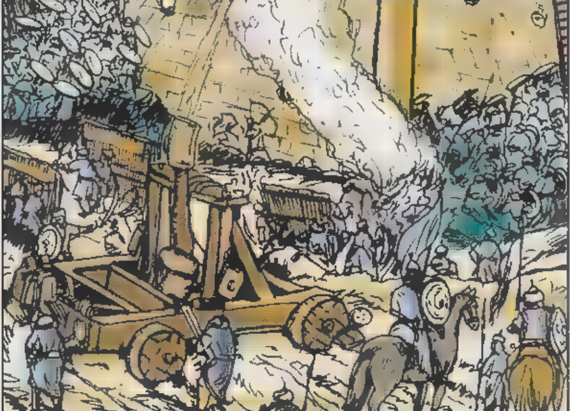


وعرع صلاح الدين بمفاوضة الفرنجة المدافعين عن بيت المقدس واستقدم لهذه الغاية الأمير باليان الأسير لديه صونًا لحرمات الأماكن المقدسة



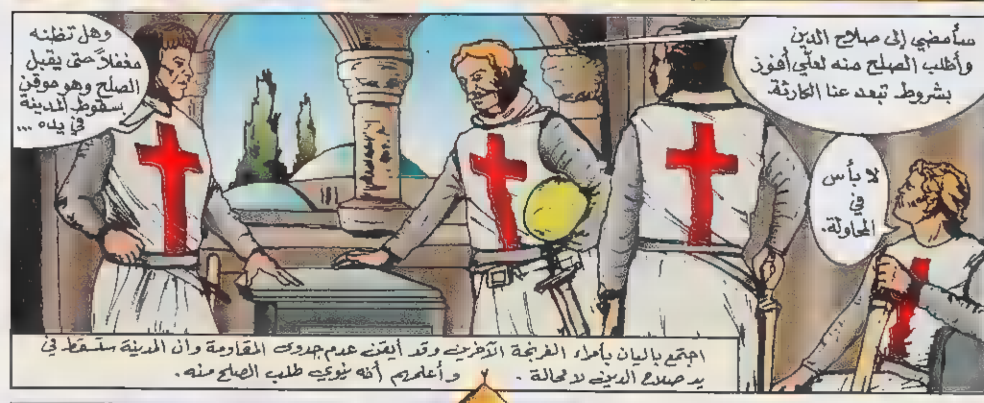

حنث الأمير باليان بوعده كما توقّع صلاح الدين، بل وتسلّم بنفسه قيادة مقاومة الفرنجة، عندئذٍ أمر صلاح الدين بضرب القدس بعنف.

انهالت على المدينة المقدّسة القذائف الحديدية وكرات اللهب الحارقة وأمطرت بوابل من النبال المتلاحقة حتى أصبحت غارقة في جحيم لهب ودخان.



أعقب صلاح الدين الضرب العنيف للمدينة بخطة بارعة، فأمر بحفر خندق يمتد إلى داخل المدينة، فنقب المقاتلون نفقاً وملأوه حطباً أشعلوا فيه النار فانهار جانب من جدار الحصن محدثاً ثغرة واسعة يمكن العبور منها إلى داخل السور.
لقد نجح المقاتلون في مهمتهم رغم وابل النبال الذي أمطرهم به الأفرنج.

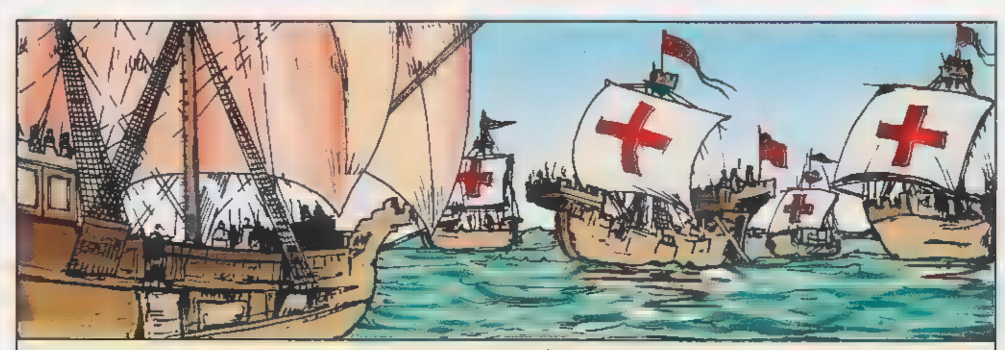




اجتمع باليان بأمراء الفرنجة الآخرين وقد أيقن عدم جدوى المقاومة وأن المدينة ستسقط في يد صلاح الدين لا محالة. وأعلمهم أنه ينوي طلب الصلح منه.


في الوقت الذي كان باليان يحاول المباشرة في المفاوضات رفرفت أعلام النصر على أسوار المدينة


دخل صلاح الدين القدس وفرض الأمن فوراً ومنع التعدي، وكان كريماً مع الفرنجة، فأمهلهم أربعين يوماً للرحيل عن القدس. وأكرم أهل المدينة مسلمين ومسيحيين مقدراً الأحوال الصعبة



بعد فراغ صلاح الدين من حل المشاكل التي خلّفها الفرنجة تابع تحرير مدن الساحل السوري حتى بلغ انطاكية ودخلها صلحاً بناء على رغبة أهلها العرب.

وكانت أوروبا تعدّ حملة ظاهرها صليبي وباطنها استعماري وفاتها أن النصارى العرب قاتلوا مع إخوانهم المسلمين. وحملت أمواج البحر المتوسط أساطيل الغزو الفرنجي الجديد إلى ديار الشام وفلسطين.

وكان من أبرز الوافدين ريكاردوس قلب الأسد ملك إنكلترا والمرجل الشهير بنبوغه العسكري وشجاعته في القتال.

وكانت عكا هدف الحملة الكبيرة واختيرت لتكون مركز تجمع الجيش الغازي وحوصرت المدينة الباسلة ودارت من حولها معارك كثيرة واستبسل العكاويون في الدفاع عن مدينتهم ولم يبخل صلاح الدين في مدهم بالنجدات لتعزيز صمودهم.

سيّدي... هذا المرض المزمن لا يقدر على علاجه غير أطباء من أهل البلاد

وكيف السبيل إليهم ونحن في حرب معهم .

إستمرّ حصار عكّا عامين وصمدت العرب في عكا صمود الأبطال وأثناء الحصار أصيب ريكاردوس بحمى الملاريا فخشي الافرنج على ملكهم من الموت.

وعندما بلغ صلاح الدين خبر مرض ريكاردوس أرسل طبيبه الخاص ليعالجه .

كيف تعالجني يا رجل وأنت تعلم اني عدوّ بني قومك .

إن أخلاقنا العربية ودينا السمح يأمراننا بالمعروف .

يا له من سيف.. كأن يد الجنّ قد صنعته.

الرشيق رمى بكوفية في الفضاء وضربها بسيفه كلمح البرق فشطرها شطرين .

وبعد شفاء ريكاردوس على يد الطبيب العربي زار صلاح الدين شاكراً له أريحيته وكرمه صفح الدين على علمه بقتله أسراه من العرب . وليظهر صلاح الدين مضاء السيف العربي..

ومع استمرار الحصار أخذ سكان عكا يعانون من نفاد المواد الغذائية وسواها من أسباب الصمود فحمّلوا حمامة زاجلة رسالة الى صلاح الدين يطلبون عونه .

طيري على بركة الله .كنتِ خير رسول لنوح .

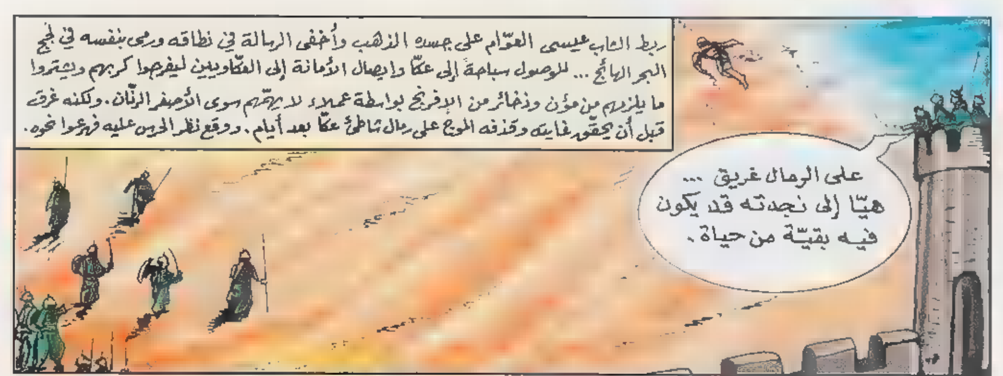


وقرّر صلاح الدين بعث رسول إليهم يحمّله ذهباً ورسالة سرّية فيها إرشاداته للصامدين وثناؤه عليهم .

كيف سنعثر على سبّاح ماهر يستطيع بلوغ عكّا سباحة...

عيسى العوّام الشاب العربي النصراني أهل لأداء المهمّة.




ربط الشاب عيسى العوّام على جسده الذهب وأُخفي الرسالة في نطاقه ورمى بنفسه في لجج البحر الهائج ... للوصول سباحة إلى عكّا وإيصال الأمانة إلى العكّاويين ليفرجوا كربهم ويشتروا ما يلزمهم من مؤن وذخائر من الإفرنج بواسطة عملاء لا يهمّهم سوى الأصفر الرنّان. ولكنه غرق قبل أن يحقق غايته وقذفه الموج على رمال شاطئ عكّا بعد أيام. ووقع نظر الحرس عليه فهرعوا نحوه.
على الرمال غريق ... هيّا إلى نجدته قد يكون فيه بقيّة من حياة.


يا لك من عربي شهم. أنت خير من أدّى الأمانة إلى أهلها.
هذا الشاب هو عيسى العوّام أنا أعرفه تمامًا وهو عربيّ من النصارى.
وتحرّى الرجال عن الغريق فإذا به نصراني يحمل إليهم أمانة من قائدهم صلاح الدين.


ما انفكّت التعزيزات والنجدات تتوالى من بلاد الفرنجة على جيشهم الغازي حتى أمست مدينة عكّا في حكم السقوط.

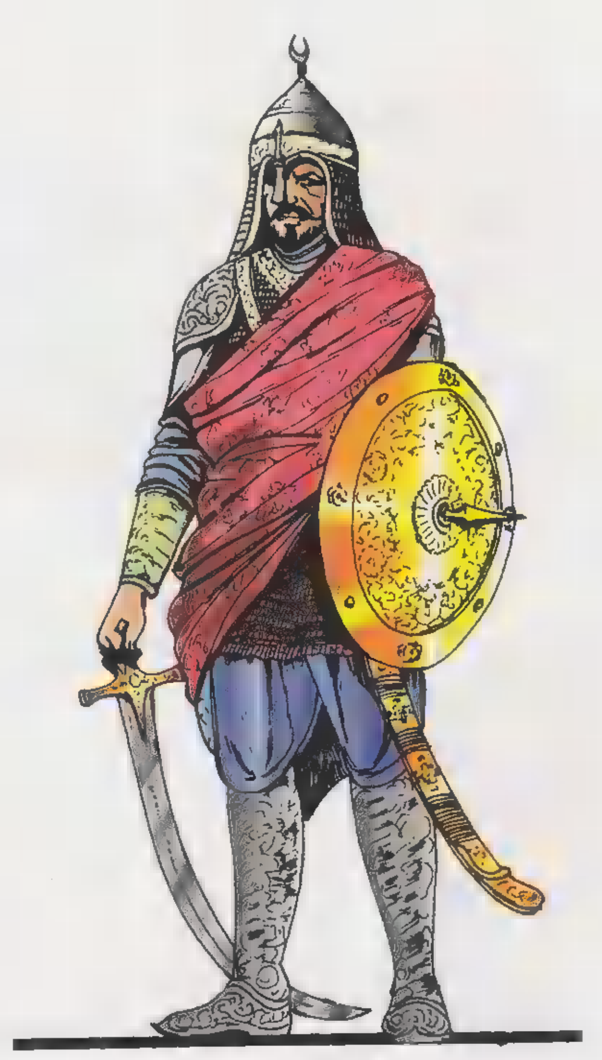

قاتلوا الفرنجة
أيها العرب دفاعًا
عن مدينتكم المقدّسة.
الموت ولا الذلّ.
اصمدوا
وتعاضدوا
يا رجال.
لم يعرف التاريخ مدينة" استبسل أهلها في الدفاع عنها مثل عكّا.
صمد أهل هذه المدينة بقلب واحد ويد واحدة مسلمين ومسيحيّين
سنتين وتألبت عليهم قوى الغزو الفرنجي من أوروبا كلها من
إنكلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا... وسقطت المدينة بشرف في
تموز من عام ١١٩٠ للميلاد...


لقد خسرنا معركة عكّا.
علينا متابعة الحرب
بأسلوب جديد.
كان صلاح الدين يراقب الكارثة التي حلّت بعكّا
وينظر إلى الحرائق بعين دامعة. وبلغته من ثم
أنباء المجزرة الرهيبة التي ارتكبها الغزاة ضدّ أهل
عكا جميعًا...


إختلف ملوك الأفرنج فيما بينهم على اقتسام
غنائم عكا. وكانت سببًا في تفرّقهم.
أنا سآخذ حصّتي
من الغنائم وانسحب
انت من الخلف يا
ريكاردوس
وأنا باقٍ حتى أحكم سيطرتي
على الديار المقدّسة
كلها.


عمد صلاح الدين إلى حرب العصابات بعد كارثة عكا المدمّرة.
وراح الفدائيون يغيرون على أهداف فرنجية ويوقعون فيها الخسائر.
لن يطول مقامكم على أرض
العرب وسترون كم سيكلفكم
غزو ديارنا...


أحمل إلى سيادتكم رسالة من أخي الملك الناصر صلاح الدين يطلب إليكم تحديد شروطكم لهدنة طويلة فيما بيننا.
شروطي هي: وقف القتال لثلاث سنوات وأن يكون الساحل من صور الى يافا تحت سيطرتنا وتبقى بيروت وصيدا وجبيل لصلاح الدين. وعسقلان مجردة من السلاح. وأن تكون زيارة الأماكن المقدسة حرة للجميع وتشمل هذه الهدنة جميع فدائيي الحشاشين.
أدرك صلاح الدين أن معارك الكرّ والفرّ لن تأتي بالنتائج المرجوّة والعدو يتمتّع بقوّة عارمة فعمد إلى أسلوب المفاوضة في هدنة تساعده على التقاط الأنفاس وتجميع القوى استعداداً لخوض معارك جديدة. فأرسل أخاه إلى ريكاردوس الشخص الذي ارتبط معه بصداقة شخصية من أجل مفاوضته على شروط الصلح.
وافق صلاح الدين على شروط ريكاردوس للصلح.
لا يمكننا أن نحصل على أفضل من هذا...
ليست المسألة أفضل او أسوأ. نحن أهل هذه الديار وفيها باقون ولا بأس من هدنة مؤقتة فيما بيننا.
ومن المآثر الكثيرة التي فرضت احترام صلاح الدين على ريكاردوس انه ذات يوم كبا به جواده وهو في معمعان المعركة فأنقذه صلاح الدين واهداه جواداً غيره.
وكان لقاء الملكين الفارسين لقاء نديّن.
أملي يا ملك الإفرنج أن ينعم الناس بالسلام.
يا ملك العرب والمسلمين لقد تعلّمت منك الكثير فأنت نعم المنتصر والقدوة في الشجاعة والشهامة.
نعمت بلاد الشام وأرض فلسطين والقدس بالسّلام والطمأنينة وكانت تلك هي المرة الأولى التي يحافظ الإفرنج فيها على وعودهم.



تلك هي سيرة صلاح الدين الأيّوبي صاحب الاسم الخالد ورمز الشجاعة
والشهامة الذي دخل تاريخنا قائدًا شجاعًا فرض
احترامه على العدو قبل الصديق.
وتوفيّ في دمشق عام 1191

أسئلة الاستيضاح

1 ـ كيف كانت أحوال الوطن العربي في مطلع القرن الثاني عشر؟
2 ـ ماذا كان وضع نجم الدين أيوب الاجتماعي. ومع من اختلف، وما الذي اضطرّه للهرب سراً؟
3 ـ في أية سنة وُلِد صلاح الدين وأين؟
4 ـ ما المنصب الذي اسنده السلطان عماد الدين الزنكي لوالد وعمّ صلاح الدين؟
5 ـ أين نشأ وترعرع وقضى صلاح الدين؟
6 ـ هَل كان صلاح الدين الشاب يرافق عمه شيركوه في معاركه مع الفرنجة، وكيف سطع نجمه؟
7 ـ إلى من عَهِدَ السلطان نور الدين الزنكي للقضاء على الفتنة في مصر. ومن كان زعيم الفتنة؟
8 ـ كم دام شيركوه في منصب الوزارة، ومن كان الخليفة، ومن خلفه؟
9 ـ ماذا فعل الوزير صلاح الدين عقب وفاة الخليفة الفاطمي العاضد، وما حلّ بحاشيته؟
10 ـ في أي سنة وافت المنية الخليفة الفاطمي. وماذا فعل صلاح الدين بكنوز الفاطميين؟
11 ـ هل أبقى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية، وإلى من أسند الخلافة؟
12 ـ كيف استقبل أهالي دمشق صلاح الدين إثر وفاة السلطان نور الدين، ولماذا قصد حلب وحاصرها، وإلى ما انتهى الوضع؟
13 ـ هل كان يتم التآمر بين الولاة الأتراك السلاجقة والفرنجة، حدّد واحدة منها؟
14 ـ ماذا فعل الحشاشون حتى أثاروا حفيظة صلاح الدين وكيف انتهى أمرهم معه؟
15 ـ كيف اكتشفت مؤامرة أمير المُوصل سيف الدين الغازي، ومن كان المشتركون في المؤامرة، وكيف أنهى صلاح الدين وضعهم؟
16 ـ بعد وفاة أمير حلب إسماعيل الزنكي، بمن تزوّج صلاح الدين، وهل كانت توجد هدنة مع الفرنجة؟
17 ـ من نقض الهدنة، وماذا كان ردّ فعل صلاح الدين؟
18 ـ في أي مكان تجمعت جيوش الفرنجة، وإلى أين زحف الملك بلدوين؟
19 ـ في أي موقع دارت المعركة التي انتصر فيها صلاح الدين وأسر أمراء حرب الفرنجة وكيف عاملهم؟
20 ـ من بادر إلى عقد الهدنة مع صلاح الدين، وكم مدة الهدنة، وهل تحقق السلام؟
21 ـ من كان المبادر إلى خرق الهدنة، وماذا فعل صلاح الدين لإرهاق العدو؟
22 ـ في اي موقع دارت المعركة الحاسمة، ومن اختار الموقع
23 ـ من وقع في أسر صلاح الدين من الملوك الفرنجة وعلى مَن صبَّ جام غضبه؟
24 ـ عِقْب انتصاراته في الأراضي الفلسطينيّة، ما الهدف الذي وضعه نصب عينيه؟
25 ـ في أية سنة وأي شهر دخل صلاح الدين القدس مُحرِّراً وكيف تصرف مع أهلها والفرنجة؟
26 ـ من كان أبرز قادة الحملة الجديدة من الفرنجة، وأيّة مدينة حاصرت أساطيلهم؟
27 ـ هل قاوم أهالي عكا دفاعاً عن مدينتهم مسلمين ومسيحيين، أم استسلموا، أم تنازعوا فيما بينهم؟
28 ـ من هو عيسى العوام، وما المهمة التي اسندها إليه صلاح الدين وهل وفى بها وعلى أيّة صورة؟
29 ـ بعدما اختلف ملوك الفرنجة فيما بينهم بعد فتح عكا، ما نوع الحرب التي اعتمدها صلاح الدين؟
30 ـ كيف كانت العلاقة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، ولماذا أقامت هكذا علاقة؟
31 ـ ماذا كانت شروط الهدنة التي وضعها الفرنجة، وهل قبلها صلاح الدين؟
32 ـ أين وافت المنيّة البطل صلاح الدين الأيوبي وفي أية سنة، وأين دُفِنَ؟
33 ـ ماذا خلّف وراءه من أموال وأملاك هذا القائد العظيم بعد وفاته؟

صدر من هذه السلسلة

خالد بن الوليد
طارق بن زياد
صلاح الدين الأيوبي
سعد بن أبي وقاص
عمرو بن العاص



صلاح الدين الأيوبي

صلاح الدين الأيوبي هو كردي وُلِد في تكريت العراق.

وهو الذي حشد في صفوف قواته جميع العرب مسلمين ومسيحيين، فضلاً عن الأكراد المسلمون وغيرهم. لمجابهة الغزو الفرنجي لبلاد العرب.

وكان هو محرِّر القدس من يد الفرنجة بعد مواقع ومآثر له انتزعت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء. وكان من سموّ النفس أنه انتقل إلى جوار ربّه وهو لا يملك من متاع الدنيا فلساً.



Dar El Rateb دار الراتب الجامعية
P. O. Box: 19-5229 • Telefax: 00961 1 853 993 – 853 895
E-mail: el-rateb@cyberia.net.lb


ISBN9953-30-013-5
9 789953 300139


BLUE
BiRD
2113
Scan By : M.Raafat & Rabab